الصوم فضائل ومقاصد

تأليف

أبي عاصم الشحات شعبان محمود
البركاتي المصري

دار الهدي النبوي

الصوم فضائل ومقاصد

أعده

أبو عاصم الشحات شعبان البركاتي

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

2021 — 1441

دار الهدي النبوي

هاتف/ 0020473636713

مقدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عبده المصطفى سيدنا محمد وآله وصحبه ومن على دربه سار واقتفى.

وبعد/ فهذه بعض البحوث والمقالات حول مقاصد وفضائل الصيام في شهر رمضان وفي غيره ؛ وكذا في بيان فضل ليلة القدر وشرفها؛ ولا يخفى على مطلع وقارئ فوائد الصوم الدنيوية وكذا في الآخرة؛ فهو في الدنيا تأديب وتهذيب وفي الآخرة فوز وأجر ومغفرة ؛ فقد أخرج الشيخان عن أبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قال؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلاَ يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ ".

وما أحسن ما يقول الشاعر أحمد شوقي في حكمة الصيام:

"الصوم حرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع؛ لكل فريضة حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة؛ يستثير الشفقة،

ويحض على الصدقة؛ يكسر الكبر، ويعلم الصبر، ويسنُّ خلال البر، حتى إذا جاع من ألف الشبع، وحرم المترف أسباب المتع، عرف الحرمان كيف يقع، والجوع كيف ألمه إذا لذع".

وما يحكى من وصايا لقمان لابنه قوله : "يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة."

ويقول الغزالي رحمه الله : "الصيام زكاة النفس ورياضة الجسم، فهو للإنسان وقاية، وللجماعة صيانة، وفي جوع الجسم صفاء القلب وإنفاذ البصيرة، لأن الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر الشجار فيتبلد الذهن، أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق."

فالله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ؛ وأن ينفع به عباده الصالحين؛ وأن يحشرني في زمرة النبيين؛ وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد .

كتبه / أبو عاصم الشحات شعبان محمود البركاتي

هاتف/ 00201064763195

مقاصد الصوم

المستخرجة من حديث:

" كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي "

أبو عاصم البركاتي المصري

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه وبعد:

فعن أبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قال؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلاَ يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ "

أخرجه الإمام أحمد(10692) والبخاري(1904) ومسلم(1151) واللفظ له

وله رواية عند مسلم وغيره " كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشرة أمثالها إلا سبعمائة ضعف، قال الله عز و جل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع

شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك".

معاني المفردات:

عمل : طاعة وعبادة.

أجزي: أثيب وأعطي.

جنة: وقاية.

يرفث: الرفث بذيء الكلام .

يسخب: يجهل .

خلوف: رائحة الفم المتغيرة.

من مقاصد الصيام إقامة ركن الإسلام:

قال الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 183).

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البَقَرَة: 185]

وقال النبيُّ ﷺ : "بُنِي الإسلامُ على خمسٍ: شهادةِ أنْ لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وحجِّ البيت، وصومِ رمضان" متفق عليه.

وقال النبيُّ ﷺ مُخبِراً الأعرابيَّ عما افترضه الله عليه من الصيام: "شهر رمضان إلا أن تطَّوَّع شيئاً" [متفق عليه].

الصيام وتحقيق التقوى المنشودة:

الصيام تزكو به النفس، وتصفى الروح وتتحقق التقوى ، ويصل المرء إلى مرتبة الإحسان ، فتجد الناس تراقب الله في صيامها ، وتخشى على العبادة مما يفسدها من مساوئ الأخلاق وصغائر الذنوب قال تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

أضاف الله الصيام إلى نفسه إضافة تشريف:

والصيام أضافه الله إلى نفسه سبحانه ، فقال : " كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ".

قال ابن عبد البر : وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي يُرَادُ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ كُلَّهَا لَهُ وَهُوَ يَجْزِي بِهَا فَمَعْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ الصَّوْمَ لَا يَظْهَرُ مِنِ ابْنِ آدَمَ فِي قَوْلٍ وَلَا عَمَلٍ وَإِنَّمَا هُوَ نِيَّةٌ يَنْطَوِي عَلَيْهَا صَاحِبُهَا وَلَا يعلمها إلا الله وَلَيْسَتْ مِمَّا تَظْهَرُ

فَتَكْتُبُهَا الْحَفَظَةُ كَمَا تَكْتُبُ الذِّكْرَ وَالصَّلاَةَ وَالصَّدَقَةَ وَسَائِرَ الْأَعْمَالِ لِأَنَّ الصَّوْمَ فِي الشَّرِيعَةِ لَيْسَ بِالْإِمْسَاكِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ لِأَنَّ كُلَّ مُمْسِكٍ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِذَا لَمْ يَنْوِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَلَمْ يُرِدْ أَدَاءَ فَرْضِهِ أَوِ التَّطَوُّعَ لِلَّهِ بِهِ فَلَيْسَ بصائم في الشريعة فلهذا ما قُلْنَا إِنَّهُ لَا تَطَّلِعُ عَلَيْهِ الْحَفَظَةُ وَلَا تَكْتُبُهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَيُجَازِي بِهِ عَلَى مَا شَاءَ مِنَ التَّضْعِيفِ(1). انتهى

فالصلاة والزكاة والصدقة والحج والذكر وسائر العبادات لله ،فلماذا يخص الله عز وجل الصيام فيضيفه إلى نفسه بقوله " فإنه لي" قال العلماء في ذلك أقوال منها:

(1) أن الصوم عبادة لا رياء فيه، لأنه لا يظهر من ابن ادم بفعله ، وإنما هو سر بين العبد وربه عز وجل ، وبقية العبادات تظهر بالقول أو الفعل .

إلا أن الرياء قد يقع في الصوم من جهة الإخبار به، وذلك في صيام النفل والتطوع، أما باقي العبادات فقد يدخلها الرياء من جهة الفعل، والله تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه.

---

(1) التمهيد (19 /60) .

والرياء هو الشرك الخفي، أو الشرك الأصغر، وهو يحبط العمل ويفسده، قال تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة: 5) .

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : "ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال " فقلنا بلى يا رسول الله : فقال : "الشرك الخفي ، أن يقوم الرجل فيصلي ، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل "[1].

وقال رسول الله ﷺ: "من سمع الناس بعمله سمع الله به مسامع خلقه وصغره وحقره "[2].

(2) قيل أن الصيام لا يتعبد لغير الله به، فالله وحده هو الذي يُعْبَدُ بالصيام، فالكافرون والمشركون قد يتقربون لمعبوداتهم بألوان من الصلوات أو بأذكار وأوراد أو بالذبح أو بالنذر أو بالنفقة لها ولسدنتها وكهنتها، ولكنهم لم يصوموا ويتحملوا الجوع والعطش ومكابدة الشهوات من أجل معبوداتهم، والله أعلم.

---

(1) رواه ابن ماجه والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الترغيب (1/ 17).

(2) رواه الطبراني في "المعجم الكبير" والبيهقي وانظر صحيح الترغيب (1/ 16).

(3) قيل إن جميع العبادات توفى منها مظالم العباد إلا الصيام ، قال ابن عيينة : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُحَاسِبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدَهُ وَيُؤَدِّي مَا عَلَيْهِ مِنَ الْمَظَالِمِ مِنْ سَائِرِ عَمَلِهِ حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا الصَّوْمُ فَيَتَحَمَّلُ اللهُ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَظَالِمِ وَيُدْخِلُهُ بِالصَّوْمِ الْجَنَّةَ(1).

ويؤيد ذلك ما أخرجه الإمام أحمد في المسند (10025) عن أبي هُرَيْرَةَ، قال : سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: " قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ الْعَمَلِ كَفَّارَةٌ، إِلَّا الصَّوْمَ، وَالصَّوْمُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ " .

ولكن يعكر على القول حديث أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ" [أخرجه مسلم] فظاهره أن الصيام مشترك في الكفارات كسائر الأعمال.

ولهذا بوب الإمام البخاري في "صحيحه" (25/3) فقال : بَابٌ: الصَّوْمُ كَفَّارَةٌ.

---

(1) السنن الكبرى للبيهقي (4 / 454) .

ثم أورد تحته حديث حذيفة عن النبي ﷺ "فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ".

من مقاصد الصوم مضاعفة الثواب .

وقوله: "**وأنا أجزي به**" أي لا يعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته إلا الله ، وفي روايات الحديث " **كل عمل ابن آدم، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف**" إلى ما شاء الله إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير، وهذا إشارة إلى عظم الجزاء ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: 10)

والصوم نصف الصبر، كما ورد عنه ﷺ [1]، وقال بعض المفسرين: إن المراد بالصابرين في الآية هم الصائمون.

تحقيق عبادة السياحة:

قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: 112).

---

(1) أخرجه أحمد (23073) والترمذي(3519).

روى الطبري (14/ 503) عن أبي هريرة وابن مسعود قالا: السائحون هم الصائمون.

من مقاصد الصوم وقاية الصائمين.

قوله: " وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ" أي حماية ووقاية في الدنيا والآخرة.

وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الصيامُ جُنَّةٌ كجُنَّةِ أحدكم من القتال "(1)

وعن كعب بن عُجرة رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ: "أُعيذك بالله يا كعبَ بن عُجْرَةَ من أُمراءَ يكونون من بعدي، فمن غشي أبوابَهم فصدَّقهم في كذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس منِّي ولستُ منه، ولا يرِدُ عليَّ الحوض، ومن غَشِيَ أبوابهم أو لم يغشَ فلم يصدقهم في كذبهم ولم يُعنهم على ظلمهم فهوَ منِّي وأنا منه، وسَيَرِدُ عليَّ الحوض، يا كعبَ بنَ عُجرةَ: الصلاةُ برهانٌ، والصومُ جنّةٌ حصينةٌ، والصدقةُ تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النارَ، يا كعبَ بنَ عُجرةَ، إنه لا يدخل الجنة لحمٌ نَبَتَ من سُحْتٍ، النارُ أولى

(1) أخرجه أحمد (16273) والنسائي(2230).

به، يا كعبَ بنَ عُجرةَ، "الناسُ غاديان: فمبتاعٌ نَفْسَه فمُعْتقها، وبائعٌ نَفْسَه فمُوبِقُها"(1)

أما في الدنيا فهو حماية من الزلل في المعاصي كالزنا والعياذ بالله ، ففي الحديث عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ شَبَابًا لَا نَجِدُ شَيْئًا فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ" (2).

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي أَنْ أَخْتَصِيَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خِصَاءُ أُمَّتِي الصِّيَامُ وَالْقِيَامُ" (3).

وقال ﷺ : "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ" متفق عليه.

فالصيام جنة وحماية في الدنيا من الوقوع في المعاصي والمهالك من الذنوب، كما أنه تصح به الأبدان ، وتتداوى من الأسقام والأوجاع .

---

(1) أخرجه الترمذي برقم 614، وأحمد 22/ 332، برقم(14441)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (1/ 336).

(2) أخرجه : البخاري (5066)(5065)(1905) ومسلم (1400).

(3) أخرجه : أحمد (6575) .

وفي الآخرة : الصوم جنة من النار.

قال ﷺ : "الصيام جنة وحصن حصين من النار "[1].

وفي لفظ: "الصوم جنة من عذاب الله " [2].

وقال ﷺ :" من صام يوماً في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا "[3].

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: "مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ بَاعَدَ اللهُ مِنْهُ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ "[4] .

وأخرج الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :"من صام يوما في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض[5]".

---

(1) أحمد والبيهقي وحسنه الألباني في صحيح الجامع (3880).

(2) البيهقي وأحمد والنسائي وابن ماجه وانظر صحيح الجامع (3867).

(3) متفق عليه.

(4) النسائي وحسنه الألباني.

(5) الترمذي عن أبي أمامة وصححه الألباني في صحيح الجامع (6333).

والصيام أيضاً سبب من أسباب دخول الجنة ، فعن سَهْلٍ بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ[1].

وقال ﷺ : " من ختم له بصيام يوم دخل الجنة [2]".

وعن حذيفة عنه ﷺ قال : " من قال لا إله إلا الله ختم له بها دخل الجنة ، ومن صام يوماً ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة ، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة "[3].

ومن مقاصد الصيام التدريب على حسن الخلق.

قوله :" فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل : إني صائم مرتين".

ومعنى لا يرفث أي لا يفحش في الكلام؛ وقيل الرفث مقدمات الجماع ، ولا يصخب ولا يجهل أي لا يفعل أفعال الجهال كالصياح والسخرية والصراخ،

---

(1) أخرجه البخاري (1897) ومسلم (1152).

(2) أحمد وأبو نعيم وصححه الألباني في صحيح الجامع (6224).

(3) أخرجه الإمام أحمد؛ وانظر صحيح الترغيب (1 /412).

حتى إن تعرض للسب أو الشتم أو العراك فليقل إني صائم إني صائم ، يذكر نفسه ومن أمامه بأخلاق الصائمين الربانيين ، وقال عليه الصلاة والسلام: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قولَ الزُّور، والعملَ به، فليس لله حاجةٌ في أن يَدَعَ طعامَه وشرابَه" [البخاري (1903)]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ" (1)

وقال تعالى : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾ (الفرقان:63)

وقال تعالى :﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف:199)

روى البخاري عن عبد الله بن الزبير في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ قال : ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس .

ويروي لنا أَنَس بْنِ مَالِكٍ قَالَ كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ثُمَّ

(1) أخرجه الإمام أحمد (8856) والنسائي في الكبرى(3236) وابن ماجه (1690).

قَالَ يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ[1].

والصائم عليه أن يتأدب بأدب النبي ﷺ فيكظم غيظه، ويتحلى بما ينبغي أن يكون عليه الصائمون ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ" [2].

وروى أبو داود والترمذي عن معاذ بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: " من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء ".

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ "[3].

فما بالك إذا كان المؤمن صائماً وحسن الخلق، قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ (الشمس : 7 – 10)

(1) البخاري (5809)(6088) ومسلم(1057)

(2) البخاري (6114) ومسلم(2609)

(3) أبو داود(4798)وأحمد(24492)

يا خادم الجسم كم تسعى لخـــدمته ... أتطلب الربـح مما فيه خـسـران

أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

ثواب الخلوف في الآخرة.

قوله ﷺ: " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ "

وإذا ثبت الفضل ذلك لرائحة الخلوف ، فما بالك بثواب الصيام ، ألم يتقدم معنا قوله سبحانه " فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ " ثواب عظيم بلا شك ، فأبشر أخي الصائم بثواب عظيم وعطاء جزيل من الكريم سبحانه.

فالمؤمنون يعرفون يوم القيامة بالتحجيل من أثر الوضوء ، يأتون غراً محجلين، ويأتي الصائمون المؤمنون برائحة أطيب من ريح المسك مع الضياء الذي يلف أعضاء الوضوء من أثر الوضوء ، فيجمعون بين هذا وذاك .

وقال ابن حجر في "فتح الباري"(4/ 106): وَيُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ أَنَّ الْخُلُوفَ أَعْظَمُ مِنْ دَمِ الشَّهَادَةِ لِأَنَّ دَمَ الشَّهِيدِ شُبِّهَ رِيحُهُ بِرِيحِ الْمِسْكِ وَالْخُلُوفُ وُصِفَ بِأَنَّهُ أَطْيَبُ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الصِّيَامُ أَفْضَلَ مِنَ الشَّهَادَةِ لِمَا لَا يَخْفَى وَلَعَلَّ سَبَبَ ذَلِكَ النَّظَرُ إِلَى أَصْلِ كُلٍّ مِنْهُمَا فَإِنَّ أَصْلَ الْخُلُوفِ طَاهِرٌ وَأَصْلُ الدَّمِ بِخِلَافِهِ فَكَانَ مَا أَصْلُهُ طَاهِرٌ أَطْيَبَ رِيحًا" .

من مقاصد الصوم إدخال الفرح على نفس الصائم.

قوله " لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ"

فرح بفطره في الدنيا لأنه أتم الطاعة ، ويرجو تحصيل المطلوب من الثواب، ولأن للصائم عند فطره دعوة مستجابة ، قال ﷺ :" ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل والصائم حين يفطر ودعوة المظلوم "[1].

وأما فرحته إذا لقي ربه فإنه يفرح بثواب صومه، قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المزمل: 20) والله يقول : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (يونس :58).

والصيام يشفع لصاحبه، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : "الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الصِّيَامُ أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ قَالَ فَيُشَفَّعَانِ "[2].

(1) صحيح الترمذي (2526).

(2) أخرجه أحمد وصححه الألباني في صحيح الترغيب.

والصيام سبب لدخول الجنة من باب الريان

فعَنْ سَهْلٍ بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ"(1).

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَغُرَفًا يُرَى بُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا، وَظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا" فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَنْ هِيَ؟ قَالَ: "لِمَنْ أَطَابَ الْكَلامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ".

****

ومن مقاصد الصوم جعله من الكفارات:

الصوم من مكفرات الذنوب: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: "الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ" [مسلم]

---

(1) أخرجه البخاري (1896)(3257) ومسلم(1152).

ولعظم ثواب الصوم وشرفه عند الله تعالى جعله الله من الكفارات على النحو الآتي:

أ- كفارة فدية الأذى : يعد الصوم كفارة فدية الأذى لقوله تعالى :﴿ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ (البقرة: 196)

ب- كفارة الظهار: لقول الله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير . فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ الله وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيم ﴾ (سورة المجادلة: 43 – 44).

ج- كفارة قتل الخطأ: لقول الله تعالى :﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ الله وَكَانَ الله عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (سورة النساء: 92).

د- كفارة اليمين : لقول الله تعالى :﴿ لاَ يُؤَاخِذُكُمُ الله بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا

تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ ﴾ (سورة المائدة: 899).

ك- من لم يجد الهدي : من لم يجد الهدي صام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله؛ لقول الله تعالى :﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (البقرة: 1966).

ل - جزاء قتل الصيد في الإحرام : لقول الله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا الله عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ الله مِنْهُ والله عَزِيزٌ ذُو انْتِقَام ﴾ (المائدة).

م- كفارة الجماع في نهار شهر رمضان :يعد الصوم كفارة الجماع في نهار شهر رمضان؛ لحديث: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي ﷺ فَقَالَ: هَلَكْتُ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: "وَمَا أَهْلَكَكَ". قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ. قَالَ: "هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً". قَالَ: لاَ. قَالَ: "فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ". قَالَ: لاَ. قَالَ: "فَهَلْ تَجِدُ مَا تُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِينًا". قَالَ: لاَ، قَالَ ثُمَّ جلَسَ فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ

بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ. فَقَالَ: "تَصَدَّقْ بِهَذَا". قَالَ: أَفْقَرَ مِنَّا؟ فَمَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ثُمَّ قَالَ: "اذْهَبْ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ" [متفق عليه]

انتهى والله وحده من وراء القصد

رمضان وتحقيق العبودية

أعده

أبو عاصم البركاتي المصري

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شرور أَنْفُسِنَا، ومِنْ سَيئاتِ أعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد:

فإن أول أمر في كتاب الله تعالى هو الأمر بعبودية الله عز وجل وذلك في قوله -عز وجل-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[1]. وآخر أمر في القرآن أمر بالعبودية وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (الناس :1) والاستعاذة بالله تعالى عبودية فهي من لجوء القلب لله وطلب الحماية منه سبحانه وتعالى.

عبودية الله هي الحكمة من خلق الخلق

والله تعالى ما خلق الخلق إلا ليعبدوه ، قال سبحانه:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

(1) سورة : البقرة (21).

(2) سورة : الذاريات (56).

وبها أرسل جميع الرسل، كما قال نوح لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[1]. وكذلك قال هود، وصالح، وشعيب، وغيرهم لقومهم، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[4]. كما قال في الآية الأخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ . وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[5]. وجعل ذلك لازماً لرسوله إلى الموت كما قال: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[6].

سمو مقام العبودية

ويدل على ذلك أن الله تعالى وصف خير خلقه من الأنبياء والرسل والصالحين والملائكة فقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ

---

(1) سورة: الأعراف (59)، المؤمنون (23).

(2) سورة: النحل (36).

(3) سورة: الأنبياء (25).

(4) سورة: الأنبياء (92).

(5) سورة: المؤمنون (51-52).

(6) سورة: الحجر (99).

لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ . يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَار لا يَفْتُرُونَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء : 1).

وقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً للّهِ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً . فَأَمَّا الَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلُيماً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً﴾ (النساء:172، 173).

وقال في وصف عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِى إِسْرائيلَ﴾ (الزخرف:59).

وقال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْراهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِى وَالأَبْصَارِ . إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ . وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ . وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ﴾ (ص:45-48).

---

(1) سورة : الأنبياء (19-20).

(2) سورة : الأعراف (206).

وقال عن داود: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأيدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص:17).

وقال عن سليمان: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص:30).

وقال عن أيوب: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ (ص:41).

وقال عن نوح: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء:3).

وذم المستكبرين عنها بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1]. ونعت صفوة خلقه بالعبودية له، فقال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[2].

وقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾[3].

وقال : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[4].

---

(1) سورة : غافر (60).

(2) سورة : الإنسان (6).

(3) سورة : الفرقان (63).

(4) سورة : الأنعام (162-163).

تعريف العبادة

مفهوم العبودية في اللغة:

العبودية: مصدر عبد يعبد عبادةً ومعبداً ومعبدةً، فهو عبدٌ، أي: ذلّ وخضع.

قال ابن منظور: "أصل العبودية الخضوع والتذلل. وعبد الله تألّه له. والتعبّد التنسك، والعبادة: الطاعة".

وقال الفراء: "معنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق معبد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء".

وقال ابن الأنباري: "فلان عابد وهو الخاضع لربه المستسلم المنقاد لأمره".

وقال الزبيدي: "أصل العبودية الذل والخضوع، وقال آخرون: العبودية الرضا بما يفعل الرب، والعبادة فعل ما يرضى به الرب".

ب- مفهوم العبودية في الشرع:

قال ابن القيم: "العبودية اسم جامع لمراتب أربع من قول اللسان والقلب، وعمل القلب والجوارح.

فقول القلب هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته على لسان رسله عليهم السلام.

وقول اللسان الإخبار عن قول القلب بما فيه من الاعتقاد والدعوة إليه والذب عنه، وتبيين بطلان البدع المخالفة والقيام بذكره وتبليغ أوامره.

وعمل القلب كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له وإخلاص الدين له والصبر على أوامره وعن نواهيه وعلى أقداره والمعاداة فيه والخضوع والذل له وغير ذلك من أعمال القلب.

وأعمال الجوارح كالصلاة والحج والجهاد وغيرها".

وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: العبادة: "هي اسم جامع لكل ما يحبه اللهُ ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة".

أنواع العبودية

العبودية نوعان: عامة وخاصة:

أ- فالعبودية العامة: هي عبودية القهر والتسخير والملك والتسيير، وهذه تعمّ جميع الخلق مكلّفهم وغير مكلفهم، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم.

ب- والعبودية الخاصة: هي عبودية التأله والطاعة والمحبة وهذه خاصة بعباد الله المؤمنين، الذين استجابوا لداعي الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن العبد يراد به المعبّد الذي عبّده الله فذلّله ودبره وصرفه، وبهذا الاعتبار فالمخلوقون كلهم عباد الله، الأبرار منهم والفجار، والمؤمنون والكفار، وأهل الجنة وأهل النار، إذ هو ربهم كلهم ومليكهم لا يخرجون عن مشيئته وقدرته، وكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، فما شاء كان وإن لم يشاؤوا، وما شاءوا إن لم يشأه لم يكن، كما قال

تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (آل عمران:83)، ومثل هذه العبودية لا تفرّق بين أهل الجنة وأهل النار، ولا يصير بها الرجل مؤمناً... والمعنى الثاني من معنى العبد، وهو العبد بمعنى العابد فيكون عابداً لله لا يعبد إلا إياه، فيطيع أمره وأمر رسله، ويوالي أولياءه المؤمنين المتقين ويعادي أعداءه، وهذه العبادة متعلقة بألوهيته، ولهذا كان عنوان التوحيد (لا إله إلا الله) بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبده أو يعبد معه إلهاً آخر. وهذه العبادة هي التي يحبها الله ويرضاها وبها وصف المصطفين من عباده وبها بعث رسله. وأما العبد بمعنى المعبَد سواء أقر بذلك أو أنكره فهذا المعنى يشترك فيه المؤمن والكافر[1]".

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "العبودية نوعان: عامة وخاصة:

فالعبودية العامة: عبودية أهل السموات والأرض كلهم لله، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْداً﴾ (مريم:93).

وأما النوع الثاني: فعبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر، قال تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (الزخرف:68)، وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ

---

(1) العبودية ص38-45 بتصرف.

عِبَادِ . ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزمر:17، 18)، وقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ ٱلأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً﴾ (الفرقان:63، 64). فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته وولايته هم عبيد ألوهيته[1]".

وقال ابن جرير في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ (البقرة:116): "وأولى معاني القنوت في قوله: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ الطاعة والإقرار لله عز وجل بالعبودية بشهادة أجسامهم بما فيها من آثار الصنعة، والدلالة على وحدانية الله عز وجل، وأن الله تعالى ذكره بارئها وخالقها، وذلك أن الله جل ثناؤه أكذب الدين زعموا أن لله ولداً بقوله: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً، ثم أخبر عن جميع ما في السموات والأرض أنها مقرة بدلالتها على ربها وخالقها، وأن الله تعالى بارئها وصانعها، وإن جحد ذلك بعضهم فألسنتهم مذعنة له بالطاعة بشهادتها له بآثار الصنعة التي فيها بذلك، وأن المسيح أحدهم، فأنى يكون لله ولداً وهذه صفته؟![2]"

---

(1) مدارج السالكين (1/105).

(2) جامع البيان (1/507- 508).

وقال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ (آل عمران:83).

قال شيخ الإسلام:

"فذكر إسلام الكائنات طوعاً وكرهاً؛ لأن المخلوقات جميعها متعبّدةٌ له التعبد العام، سواءٌ أقر المقر بذلك أو أنكره، وهم مدينون له مُدبّرون، فهم مسلمون له طوعاً وكرهاً، ليس لأحد من المخلوقات خروجٌ عما شاءه وقدّره وقضاه، ولا حول ولا قوة إلا به، وهو رب العالمين ومليكهم، يُصرّفهم كيف يشاء، وهو خالقهم كلّهم، وبارئهم ومُصورهم، كل ما سواه فهو مربوب مصنوعٌ مفطورٌ، فقيرٌ محتاجٌ معبَّد مقهورٌ، وهو سبحانه الواحد القهار الخالق البارئ المصوّر"[1].

أنواع العبودية الخاصة

هذا وتتنوع العبودية الخاصة إلى أنواع كثيرة ، فكل ما أمر الله به فهو عبادة، وكل ترك لما نهى الله عنه طاعة لله هو عبادة ، ولا تحصر أنواعها، أنواعها كثيرة ، كل ما أمر الله به فهو عبادة ، وكل ما نهى الله عنه فتركه ، سواء كان

(1) العبودية ص145.

ذلك ظاهرا على الجوارح أو كان باطنا في القلوب ، لأن العبادة تكون على اللسان وتكون على القلب وتكون على الجوارح.

فالعبادة القلبية : كل ما في القلب من التقرب إلى الله -عز وجل- فإنه عبادة كالخوف والرجاء والخشية والرغبة والرهبة والتوكل والإنابة والاستعانة ، كل هذه أعمال قلب ، اللجوء إلى الله بالقلب وخشية الله وخوفه ورغبته والرغبة إليه ومحبته سبحانه والإخلاص له والنية الصادقة لله - عز وجل - ، يبين هذا ما رواه في الصحيح عن أنس -رَضِيَ اللهُ عنْهُ- قال: لما رجعنا من تبوك قال النبي -ﷺ-: "إن أقواماً بالمدينة ما سِرْتُم مسيراً، ولا نزلتم منزلاً، ولا قطعتم وادياً إلا شركوكم في الأجر". قال الصحابة -رَضِيَ اللهُ عنْهُم-: وهم بالمدينة يا رسول الله؟ قال: "نعم، حبسهم العذر" [1] وفي رواية: "حبسهم المرض" [2].

كل ما في القلوب من هذه الأنواع فهو عبادة .

وعبادة قولية : تكون على اللسان مثل التسبيح والذكر والتهليل والنطق بالشهادتين، كل أقوال اللسان المشروعة من ذكر الله - عز وجل - فإنها عبادة.

---

(1) البخاري، رقم 4071

(2) مسلم، رقم 3534 من حديث جابر.

وعبادة بدنية: تكون العبادة على الجوارح مثل الركوع والسجود والجهاد في سبيل الله والجهاد بالنفس والهجرة، كل هذه عبادات بدنية، والصيام عبادة بدنية تظهر على الجوارح.

العبادة البدنية : هي الثلاثة الأنواع التي قلنا، تكون على اللسان وعلى الجوارح وعلى القلب.

وتكون مالية : مثل إخراج الزكاة ، مثل الإنفاق في سبيل الله ، وهو الإنفاق في الجهاد قال الله تعالى : ﴿ وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ (التوبة : 20) . قدم الأموال على الأنفس، فالجهاد بالمال عبادة مالية، الحج يتكون من عبادة بدنية وعبادة مالية، فأداء المناسك: الطواف والسعي ورمي الجمار والوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة عبادة بدنية، أما الإنفاق فيه فهو عبادة مالية؛ لأن الحج يحتاج إلى نفقة.

مقام العبودية عند النبي ﷺ (1)

تعدّدت المقامات الدالة على اصطفاء الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ في منزلته ومكانته ، وفي خصائصه وفضائله ، وفي شمائله وصفاته، واليوم نقف مع أعلى تلك المقامات وأرفعها ، وهو مقام عبوديته(2) ﷺ لله جلّ وعلا .

ومما يدلّ على عظم ذلك المقام، وكون النبي ﷺ في أعلى مراتبه ، وصف الله تعالى لنبيه بالعبودية في مواطن التحدّي والمعجزة ، قال تعالى : **﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾** (البقرة: 23)، وفي التشريف بالإسراء يقول الله عز وجل: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾** (الإسراء : 1)، وعند ذكر نزول القرآن يقول الله: **﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾** (الحديد : 9)، وفي مقام الدعوة يقول الله: **﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا﴾** (الجن: 19).

---

(1) www.islamweb.net

(2) وعبادة رسول الله ﷺ مستمرة ومتواصلة، فقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها " كان عمل رسول الله ﷺ ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق " ومعنى قولها ديمة أي يداوم عليه ، بل لو فاته شيء من النوافل قضاه"

بل كانت عبوديّته عليه الصلاة والسلام أكمل من عبودية من قبله من الأنبياء، فهو خير العابدين لله سبحانه وتعالى ، وسيرته العطرة ، توضح ذلك وتبينه خير بيان، وبذلك استحقّ شرف الوسيلة والشفاعة يوم القيامة دون من سواه.

ورحلة النبي ﷺ مع العبودية بدأت مبكرًا حينما كان يمضي إلى غار حراء يتحنث فيها الليالي العديدة، مستجيبا لكوامن النفس ودوافع الفطرة، في تعظيم الخالق سبحانه وتعالى ومناجاته، وقد أجاد الشاعر حين قال:

ولقد تفرّغ للعبـــادة قبل أن   يُؤمر بها في شامخ الصخرات

وغدا يناجي ربّه ويريـــد منه   هـــداية للخير والحسـنات

حتى استجاب له الإله وجاءه   جبريـل بالبشرى وبالآيات

وببعثته ﷺ صارت عبوديّته لربّه أكثر شمولا وتنوّعا، فلم تقتصر على مجرّد الشعائر التعبدية الظاهرة المعروفة، بل امتدّت لتشمل كل ما يحبّه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

فصلاته بين يدي ربه هي العجب العجاب، إذ كانت صلاته تفيض بأنوار السكينة والطمأنينة، في مناجاة للخالق وتذللٍ بين يديه، على نحوٍ يجلّ عن

المثيل والنظير، حتى صارت الصلاة أنيسه وقرّة عينه : " **وجعلت قرة عيني في الصلاة**"، وغدت دواءً لأحزانه وكربه : " **كان إذا حزبه أمر صلّى**" .

ولعل خير من يصوّر لنا صلاة النبي ﷺ، عوف بن مالك رضي الله عنه، حينما قال: " قمت مع رسول الله ﷺ فبدأ واستاك وتوضأ، وقام فصلى، فاستفتح بالبقرة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ . ثم ركع فمكث راكعاً بقدر قيامه ، يقول في ركوعه: **سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة،** ثم سجد بقدر ركوعه يقول في سجوده: **سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة،** ثم قرأ آل عمران ثم سورة، ففعل مثل ذلك" .

وهذا المغيرة بن شعبة يصف لنا اجتهاده في ذلك فيقول: "**قام النبي ﷺ حتى ورمت قدماه**"، وقد أُثر عنه قيامه الليل كلّه بآية من القرآن الكريم ، ويطيل بالقراءة أحيانا أخرى، فإذا سُئل عن ذلك كان يقول: **"أفلا أكون عبدا شكورا؟"**.

وفيما يتعلّق بصيامه عليه الصلاة والسلام، قالت زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، فما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام

شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان" [متفق عليه] واللفظ للبخاري، وأشارت روايات أخرى أنه كان يُكثر من صيام الاثنين والخميس وثلاثة أيام من غرّة كل شهر.

ومن العبادات التي كان يداوم عليها النبي ﷺ، عبادة الاعتكاف في المسجد، إذ كان يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، يمكث فيه للصلاة وقراءة القرآن وتقوية الصلة بالله عز وجل، والتفرغ لذلك، فقد ذكرت عائشة رضي الله عنها "أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده" متفق عليه واللفظ للبخاري.

أما في مجال الصدقة، والمبادرة إليها، والمسارعة نحوها ، فقد كان ﷺ صاحب عبادة عظيمة، ومسارعة عجيبة ، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، يُرشد لذلك تلك الحادثة التي يرويها الصحابي الجليل عقبة بن الحارث رضي الله عنه، حيث قال: " صليت مع النبي ﷺ العصر ، فلما سلم قام سريعاً، فدخل على بعض نسائه، ثم خرج ورأى ما في وجوه القوم من تعجبهم لسرعته، فقال ذكرت وأنا في الصلاة تبراً- أي ذهباً- عندنا، فكرهت أن يمسي أو يبيت عندنا، فأمرت بقسمته " رواه البخاري.

وفي ذكره لله عز وجل خير أسوة لنا ، فقد كان ﷺ دائم الذكر لربّه في مختلف الأحوال وجميع الأوقات، فكان يذكره في قيامه وقعوده ، وأفراحه وأحزانه، وطعامه وشرابه ، وصباحه ومسائه، حتى إن العلماء قديماً وحديثاً عنوا بجمع ما كان يقوله عليه الصلاة والسلام من أوراد وأذكار مختلفة.

أما عبادته ﷺ القلبية، والتي يقصد بها الأعمال التي ترتبط بالقلب ارتباطاً مباشراً من محبةٍ لله وتوكّل عليه ، وخوف منه ورجاء له، ورضاء بقضائه وقدره، وغيرها من أفعال القلوب، فالنبي ﷺ قد بلغ في تلك الأحوال أعلى الدرجات، شأنه في ذلك شأن من سبقه من الأنبياء، فنلمس توكّله على الله عز وجل في قصة هجرته وقوله لأبي بكر: "ما ظنك باثنين، الله ثالثهما؟"، ونلمس بوضوح محبّته لربه في قوله عن المطر: "إنه حديث عهد بربه".

وأما خشيته لله وخوفه منه، فتظهران من خلال ما نجده من رقّة قلبه وسرعة دمعته ، وخشوع طرفه وانكسار قلبه عند ذكره لله عز وجل ووقوفه بين يدي مولاه ، كما وصفه أبو مطرف قائلاً: " أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء"، ولذلك قال رسول الله ﷺ: **لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً و لبكيتم كثيراً**. وفي رواية الترمذي : " **إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحُقَّ لها أن تئط، ما فيها موضع**

أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً و لبكيتم كثيراً ، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله " فكان بذلك أنموذجاً تحتذي به نفوس الصالحين.

لقد كانت حياته ﷺ كلها عبادة ، وكذلك كانت وفاته ، حتى كان أعظم وأكمل من حقّق قوله تعالى: ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**﴾ (الأنعام : 162)، فهنيئا لمن سلك سبيل العبودية، واقتدى فيه بأكمل الخلق ﷺ .

هدي النبي ﷺ في رمضان

لم يكن حال النبي ـ ﷺ ـ في رمضان كحاله في غيره من الشهور، فقد كان يومه وشهره مليئا بالطاعات، وذلك لعلمه بما لهذا الشهر من فضل خصه الله به، فهو شهر يُنادَى فيه: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر.. وفيه تفتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران.. ومن ثم علينا أن نقف مع هديه – ﷺ– في شهر رمضان، حتى نقتدي به .

فالمسلم – بوجه عام – عليه أن يتعلم هدي النبي – ﷺ– في كل عمل، حتى لا يقع في ما يبطله أو يُخِل به.. فصلاح أي عمل متوقف على شرطين، هما: إخلاص النية لله تعالى، وموافقة هدي النبي – ﷺ .

ومن هذه الأعمال والعبادات، أعمال شهر رمضان، من الصيام والقيام والقراءة والاعتكاف، وغيرها من الأعمال الصالحات. وقد جاءت أحاديث كثيرة، تبين لنا هدي النبي - ﷺ- في هذا الشهر المبارك. من ذلك :

هديه - ﷺ- في الصيام

كان من هديه ﷺ تعجيل الفطر وتأخير السحور، وأمر أمته بذلك.

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: " تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلى الصلاة، قلت: كم كان قدر ما بينهما؟ قال: خمسين آية " أخرجه البخاري.

قال ابن حجر في الفتح : "قال المهلب وغيره: " كانت العرب تقدر الأوقات بالأعمال، كقولهم: قدر حلب شاة، وقدر نحر جزور، فعَدَل زيد بن ثابت عن ذلك إلى التقدير بالقراءة، إشارة إلى أن ذلك الوقت كان وقت العبادة بالتلاوة".

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **"تسحروا فإن في السحور بركة"** أخرجه البخاري.

وكان ﷺ يعجل الفطر بعد غروب الشمس مباشرة، وكان يفطر قبل صلاة المغرب، وكان يفطر على رطب، فإن لم يجد فعلى تمر، فإن لم يجد حسى حسوات من ماء.

قال ابن عبد البر :

" أحاديث تعجيل الإفطار وتأخير السحور صحاح متواترة ".

ومن هذه الأحاديث ما رواه مالك بن عامر قال: "دخلت أنا ومسروق على عائشة، فقال لها مسروق: رجلان من أصحاب محمد ﷺ كلاهما لا يألوا عن الخير، أحدهما يعجل المغرب والإفطار، والآخر يؤخر المغرب والإفطار، فقالت: من يعجل المغرب والإفطار؟ قال: عبدالله، قالت: هكذا كان رسول الله ﷺ يصنع" أخرجه البخاري.

وعبد الله هو ابن مسعود . رضي الله عنه وكان ﷺ يقول إذا أفطر: "ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى" أخرجه أبوداود.

وكان يدعو عند فطره بخيري الدنيا والآخرة.

وكان – ﷺ– إذا أفطر عند قوم دعا لهم وقال: "أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة" أخرجه أحمد.

*****

هديه ﷺ في قيام رمضان

قيام الليل من السنن والطاعات التي تتأكد في رمضان، فقد قال - ﷺ- : "من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه " أخرجه البخاري.

وقد أخبر النبي - ﷺ- بأنه من قام فيه مع الإمام حتى ينصرف من صلاته كُتِب له قيام ليلة كاملة، لقوله ﷺ: "إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة" أخرجه أحمد.

والشاهد من الحديث قوله : " من قام مع الإمام "، فإنه ظاهر الدلالة على فضيلة صلاة القيام (التراويح) في رمضان مع الإمام .

ويؤيد هذا ما ذكره أبو داود ، قال: سمعت أحمد يقول:" يعجبني أن يُصَلى مع الإمام ويوتر معه"، قال النبي ﷺ: "إن الرجل إذا قام مع الإمام حتى ينصرف كتب الله له بقية ليلته".

وكان - ﷺ- يصلي إحدى عشرة ركعة، يطيل القراءة فيها جدا، كما ثبت من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة . رضي الله عنها .: "كيف كانت صلاة رسول الله - ﷺ- في رمضان؟ فقالت: ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثا،

فقلت: يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟، قال: يا عائشة، إن عيني تنامان، ولا ينام قلبي " مسلم.

هديه في العشر الأواخر من رمضان

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجدَّ وشدَّ المئزر" أخرجه البخاري.

قولها: إذا دخل العشر: أي العشر الأواخر من رمضان، وقولها: (أحيا الليل) أي: سهره فأحياه بالطاعة، وقولها: (وأيقظ أهله) أي: للصلاة بالليل، وقولها: "وشد مئزره" أي: اعتزل النساء ليتفرغ للعبادة صلوات الله وسلامه عليه .

وعنها أيضا قالت: " كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره " أخرجه البخاري.

هديه ﷺ في الاعتكاف

عن ابن عمر رضي الله عنهما: " أن رسول الله – ﷺ– كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان" أخرجه البخاري.

وكان من أسباب اعتكافه – ﷺ– طلب ليلة القدر، كما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله – ﷺ– يقول: "تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان" أخرجه البخاري.

وكان يرغب في قيام ليلة القدر فيقول: " من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه " أخرجه البخاري.

هديه ﷺ في زكاة الفطر

مما أمر به النبي - ﷺ- وفرضه في رمضان زكاة الفطر، وأمر بإخراجها قبل صلاة العيد، كما ثبت من حديث ابن عمر . رضي الله عنهما . قال: "فرض رسول الله - ﷺ- زكاة الفطر صاعا من تمر، أو صاعا من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير، من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة" أخرجه البخاري .

وقد بين ابن عباس . رضي الله عنهما . الحكمة من مشروعية زكاة الفطر، فقال: " فرض رسول الله - ﷺ- صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات " أخرجه أبو داود.

وكان من هديه ﷺ في رمضان

قراءة القرآن ومدارسته، والجود والإنفاق في سبيل الله، وذلك لقول ابن عباس . رضي الله عنهما . قال: "كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما

يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة" أخرجه البخاري.

فدل هذا الحديث على زيادة جود النبي ﷺ في رمضان عن غيره من الأزمان، فرسول الله ﷺ هو أجود الناس، ولكن أعلى مراتب جوده كانت في رمضان..

وكان جوده ﷺ شاملاً لجميع أنوع الجود، من بذل العلم والمال، وبذل النفس لله تعالى، في إظهار الدين وهداية العباد، وإيصال النفع إليهم بكل طريق وسبيل، من إطعام الجائع، ووعظ الجاهل، وقضاء الحوائج.

فكان من هديه ﷺ في رمضان الازدياد من أنواع العبادات والطاعات عن بقية الشهور، خاصة في القرآن والصدقات..

وكان - ﷺ- ربما خرج للجهاد في شهر رمضان، إذا دعت الحاجة إلى ذلك، فكان لا يشتغل بالصيام عن واجباته الأخرى.

ومن غزواته ﷺ التي كانت في رمضان: غزوتي بدر وفتح مكة، حتى سمي رمضان شهر الجهاد .

وكان يصوم في سفره تارة ويفطر أخرى، ويُخَيِّرُ أصحابه بين الأمرين، وكان يأمرهم بالفطر إذا دنوا من عدوهم ليتقووا على قتاله .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "كنا في سفر في يوم شديد الحر، وما فينا صائم إلا رسول الله وعبد الله بن رواحة" أخرجه مسلم.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: " أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في شهر رمضان، فصام حتى بلغ كُراع الغميم (موضع بين مكة والمدينة)، فصام الناس، ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه، ثم شرب، فقيل له بعد ذلك: إن بعض الناس قد صام، فقال: أولئك العصاة أولئك العصاة" أخرجه مسلم .

وكان من عموم هدي النبي ﷺ في رمضان رحمته بأمته وشفقته عليهم، ومحبة الخير لهم، وتوجيههم إلى كل ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة، وحثهم على استغلال الأوقات الفاضلة -كليلة القدر- للوصول إلى عفو الله ومغفرته وجنته.. هذا بعض من هديه ﷺ في رمضان.

فما أحوجنا إلى الاقتداء بنبينا وحبيبنا -ﷺ، فالنجاة والسعادة في اتباع هديه وسنته في حياتنا كلها، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب:21).

قصة لابن أبي ذئب رحمه الله:

ذكر الذهبي في ترجمة ابن أبي ذئب أن المهدي الخليفة العباسي دخل المسجد النبوي والناس جلوس وطلبة العلم في حلقاتهم، فلما رأوا الخليفة قاموا إلا ابن أبي ذئب لم يقم من مكانه، فقال المهدي للعالم ابن أبي ذئب : أما عرفتني؟ لِمَ لَمْ تقم لي؟ فقال ابن أبي ذئب : والله لقد هممت أن أقوم لك، فتذكرت قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين:6) فتركت القيام لذاك اليوم. فهؤلاء أناس عرفوا مقام العبودية. .

قصة عبد الله بن وهب المصري رحمه الله:

يروي الذهبي في المجلد الثامن من سير أعلام النبلاء في قصة عبد الله بن وهب المصري العالم الكبير الزاهد أنه ألف كتاب أهوال يوم القيامة فقال له أصحابه: اقرأ علينا الكتاب، قال: أما أنا فوالله لا أستطيع أن أقرأ الكتاب، لكن مروا أحدَكم أن يقرأه، قالوا: ابنك يقرأ علينا الكتاب، فبدأ ابنه يقرأ الكتاب الذي ما سمع الناس بمثله في بابه، فأُغْشِي على عبد الله بن وهب، قال الذهبي : وبقي ثلاثة أيام مغمىً عليه، ومات في اليوم الرابع، واقرءوا

ترجمته، فهو عالم مصر محدثها وزاهدها، أُغْمِي عليه ثلاثة أيام لما قرئ عليه كتابه الذي ألفه، وفي اليوم الرابع فارق الحياة.

صور من عمل الأخفياء

أمير المؤمنين عمر في ظلمة الليل: خرج عمر بن الخطاب يوماً في سواد الليل وحيداً حتى لا يراه أحد، ودخل بيتاً، ثم دخل بيتاً آخر، ورآه رجل لم يعلم عمر أن هذا الرجل رآه، رآه طلحة رضي الله تعالى عنه وأرضاه، فظن أن في الأمر شيئاً، أوجس طلحة في نفسه، لماذا دخل عمر هذا البيت؟! ولماذا وحده؟! ولماذا في الليل؟! ولماذا يتسلل؟! ولماذا لا يريد أن يراه أحد؟! ارتاب طلحة في الأمر، والأمر عند طلحة يدعو للريبة. ولما كان الصباح، ذهب طلحة فدخل ذلك البيت، فلم يجد إلا عجوزاً عمياء مقعدة، فسألها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟! وكانت المرأة لا تعرف أن الرجل الذي يأتيها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، قالت العجوز العمياء المقعدة: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا بما يصلحني ويخرج الأذى عن بيتي. أي يكنس بيتها ويقوم بحالها ويرعاها عمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه. ولا نعجب! لا نعجب أن رئيس الدولة وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب يفعل ذلك، فكم من المرات فعل ذلك عمر رضي الله تعالى عن، فهذه المواقف ليست عجباً في حياة عمر ، ولكننا نعجب من شدة إخفاء عمر لهذا العمل حتى لا يراه أحد،

وفي الليل، في سواد الليل، ويمشي لواذاً خشية أن يراه أحد فيفسد عليه عمله الذي هو سر بينه وبين الله.

زين العابدين وصدقة السر:-

ومثل ذلك سار عليه أيضاً زين العابدين رضي الله تعالى عنه وأرضاه، علي بن الحسين ، فقد ذكر الذهبي في السير وابن الجوزي في صفة الصفوة : أن علي بن الحسين كان يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل، فيتصدق به ويقول: "إن صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل"[1].

وعن عمرو بن ثابت قال: لما مات علي بن الحسين فغسلوه، جعلوا ينظرون إلى آثار سواد في ظهره، فقالوا: ما هذا؟! قالوا: كان يحمل جرب الدقيق - يعني: أكياس الدقيق- ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة . وذكر ابن عائشة قال: قال أبي: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

(1) هذا الحديث مرفوع إلى النبي ﷺ من طرق كثيرة لا تخلو أسانيدها من مقال، ولكنها بمجموع الطرق صحيحة، وقد صحح ذلك الألباني رحمه الله في الصحيحة .

ابن المبارك يفك أسر صاحبه:-

وعن محمد بن عيسى قال: كان عبد الله بن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس، وكان ينزل الرقة في خان -يعني في فندق- فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث، قال: فقدم عبد الله الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب، وكان مستعجلاً -أي عبد الله بن المبارك - فخرج في النفير -أي: في الجهاد- فلما قفل من غزوته ورجع إلى الرقة سأل عن الشاب فقالوا: إنه محبوس لدين ركبه، فقال عبد الله : وكم مبلغ دينه؟ فقالوا: عشرة آلاف درهم، فلم يزل يستقصي حتى دل على صاحب المال فدعا به ليلاً ووزن له عشرة آلاف درهم وحلفه أن لا يخبر أحداً ما دام عبد الله حياً، وقال: إذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس، وأدلج عبد الله -أي: سار في آخر الليل- وأخرج الفتى من الحبس، وقيل له: عبد الله بن المبارك كان هاهنا وكان يذكرك وقد خرج، فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة، فقال عبد الله بن المبارك للفتى: أين كنت؟! لم أرك في الخان! - انظر عبد الله يتصانع رضي الله عنه أنه ما علم عن حال الفتى- قال: نعم. يا أبا عبد الرحمن ! كنت محبوساً بدين، قال: وكيف كان سبب خلاصك؟!

قال: جاء رجل وقضى ديني ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس، فقال له عبد الله : يا فتى! احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك. فلم يخبر ذلك الرجل أحداً إلا بعد موت عبد الله .

الأخفياء والصلاة

الأخفياء والصلاة ففي الصلاة مثلا: قالت امرأة حسان بن سنان : كان يجيء فيدخل معي فراشي ثم يخادعني كما تخادع المرأة صبيها، فإذا علم أني نمت، سل نفسه فخرج ثم يقوم يصلي، قالت: فقلت له: يا أبا عبد الله ! كم تعذب نفسك، ارفق بنفسك! فقال: اسكتي ويحك! فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زماناً. وعن بكر بن ماعز قال: ما رئي الربيع متطوعاً في مسجد قومه قط إلا مرة واحدة.

الأخفياء والصيام: من أعجب المواقف ما ذكره الذهبي في السير قال: قال الفلاس: سمعت ابن أبي عدي يقول: صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله، كان خزازاً يحمل معه غداءه فيتصدق به في الطريق.

وكان بعضهم إذا أصبح صائماً ادهن ومسح شفتيه من دهنه حتى ينظر إليه الناظر فلا يرى أنه صائم.

*****

الأخفياء وقراءة القرآن:

ذكر ابن الجوزي في "صفة الصفوة" : عن سفيان قال: أخبرتني امرأة الربيع بن خثيم قالت: كان عمل الربيع كله سراً، إن كان ليجيء الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه. أي: إذا قدم الرجل على الربيع قام الربيع فغطى المصحف بثوبه حتى لا يرى الرجل أنه يقرأ القرآن.

أما الأخفياء والبكاء : فقال محمد بن واسع : لقد أدركت رجالا كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة، قد بلَّ ما تحت خده من دموعه لا تشعر امرأته.

يقول رحمه الله تعالى :

إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته لا تعلم ، ولقد أدركت رجال يقوم أحدهم في الصف ، فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي إلى جنبه.

والله من وراء القصد

اغتنام العشر الأواخر من رمضان

أبو عاصم البركاتي المصري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

أخرج الإمام أحمد والنسائي وغيرهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : "أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ".

وأخرج البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ".

وبخصوص العشر الأواخر من رمضان التي هي أفضل الشهر فقد ورد في الحديث عن عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره" رواه مسلم.

وعن عائشة -رضي الله عنها- كذلك: "كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ، إذَا دَخَلَ العَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجدَّ وَشَدَّ المِئْزَرَ".

وبخصوص إحياء الليل بالأهل عموما إذ فيه من الخير ودفع الشر؛ قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا . وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (الإسراء : 78 ـ 79).

وقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه :132)؛ وقد أخرج البخاري عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الخَزَائِنِ، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ﴾

قال ابن حجر العسقلاني: وَفِي الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ الْإِسْرَاعِ إِلَى الصَّلَاةِ عِنْدَ خَشْيَةِ الشَّرِّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصبرِ وَالصَّلَاة﴾ وَكَانَ ﷺ إذا حزبه أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلَاةِ ؛ وَأَمَرَ مَنْ رَأَى فِي مَنَامِهِ مَا يَكْرَهُ أَنْ يُصَلِّيَ؛ .... وَفِيهِ التَّسْبِيحُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْأَشْيَاءِ الْمَهُولَةِ؛ وَفِيهِ تَحْذِيرُ الْعَالِمِ مَنْ يَأْخُذُ عَنْهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَتَوَقَّعُ حُصُولُهُ، وَالْإِرْشَادُ إِلَى مَا يَدْفَعُ ذَلِكَ الْمَحْذُورَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ[1].

وفي الحديث عن عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ قال: قُمْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَبَدَأَ فَاسْتَاكَ وَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى فَبَدَأَ فَاسْتَفْتَحَ مِنَ الْبَقَرَةِ لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ يَتَعَوَّذُ، ثُمَّ رَكَعَ فَمَكَثَ رَاكِعًا بِقَدْرِ قِيَامِهِ، يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: ﴿سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ، وَالْمَلَكُوتِ، وَالْكِبْرِيَاءِ، وَالْعَظَمَةِ﴾، ثُمَّ سَجَدَ بِقَدْرِ رُكُوعِهِ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ " سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ، وَالْمَلَكُوتِ، وَالْكِبْرِيَاءِ، وَالْعَظَمَةِ" ثُمَّ قَرَأَ آيِ آلَ عِمْرَانَ، ثُمَّ سُورَةً سُورَةً فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ.

وعن حُذَيْفَةَ، أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَكَانَ يَقُولُ: "اللَّهُ أَكْبَرُ - ثَلَاثًا - ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ"، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: "سُبْحَانَ

---

(1) فتح الباري(1/211).

رَبِّيَ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ"، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْوًا مِنْ رُكُوعِهِ، يَقُولُ: لِرَبِّيَ الْحَمْدُ، ثُمَّ سَجَدَ، فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، فَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى"، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ، وَكَانَ يَقْعُدُ فِيمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنْ سُجُودِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: "رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي"، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَقَرَأَ فِيهِنَّ الْبَقَرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءَ، وَالْمَائِدَةَ، أَوِ الْأَنْعَامَ.

وفي لفظ الإمام مسلم في صحيحه عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ"، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: "سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ"، ثُمَّ قَامَ طَوِيلاً قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى"، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ.

وأخرج مالك في "الموطأ" (2/ 158) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ، عنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ؛ أَنَّهُ قَالَ: أَمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ وَتَمِيماً الدَّيْرِيَّ أَنْ يَقُومَا لِلنَّاسِ بِإِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً.

قَالَ: وَقَدْ كَانَ الْقَارِئُ يَقْرَأُ بِالْمِئِينَ، حَتَّى كُنَّا نَعْتَمِدُ عَلَى الْعِصِيِّ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ. وَمَا كُنَّا نَنْصَرِفُ إِلاَّ فِي فُرُوعِ الْفَجْرِ.

وأخرج مالك في "الموطأ" (2 /159) عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ؛ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فِي رَمَضَانَ، بِثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ رَكْعَةً.

وأخرج ابن أبي شيبة في "المصنف"(2/ 162)(7671) عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: "دَعَا عُمَرُ الْقُرَّاءَ فِي رَمَضَانَ، فَأَمَرَ أَسْرَعَهُمْ قِرَاءَةً أَنْ يَقْرَأَ ثَلاَثِينَ آيَةً، وَالْوَسَطَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ آيَةً، وَالْبَطِيءَ عِشْرِينَ آيَةً".

وأخرج ابن أبي شيبة في "المصنف" (2/ 162)(7674) عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ، يَقُولُ: " كُنْتُ أَقُومُ بِالنَّاسِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَأَقْرَأُ فِي الرَّكْعَةِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ وَنَحْوَهَا، وَمَا يَبْلُغُنِي أَنَّ أَحَدًا يَسْتَثْقِلُ ذَلِكَ ".

الاعتكاف في المسجد اقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام

قال تعالى : ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (البقرة : 125)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الحج :25) وقال : ﴿ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ (البقرة :187).

وفي الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ".

وفي الصحيحين كذلك عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، - زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ -: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ"

وأخرج البخاري (813) من حديث أبي سعيد الخدري اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ الأُوَلِ مِنْ رَمَضَانَ وَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، فَاعْتَكَفَ العَشْرَ الأَوْسَطَ، فَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ خَطِيبًا صَبِيحَةَ عِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ فَقَالَ: "مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلْيَرْجِعْ، فَإِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ القَدْرِ، وَإِنِّي نُسِّيتُهَا، وَإِنَّهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، فِي وِتْرٍ، وَإِنِّي رَأَيْتُ كَأَنِّي أَسْجُدُ فِي طِينٍ وَمَاءٍ" وَكَانَ سَقْفُ المَسْجِدِ جَرِيدَ النَّخْلِ، وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ شَيْئًا، فَجَاءَتْ قَزَعَةٌ،

فَأُمْطِرْنَا، فَصَلَّى بِنَا النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ وَالمَاءِ عَلَى جَبْهَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَرْنَبَتِهِ تَصْدِيقَ رُؤْيَاهُ.

إحياء الليل وتحري قيام ليلة القدر .

قال تعالى :﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ .

وقوله: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: أَيِ الْعَمَلُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَاخْتَارَ هَذَا الْفَرَّاءُ وَالزَّجَّاجُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَوْقَاتَ إِنَّمَا يُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ بِمَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالنَّفْعِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ فِي لَيْلَةٍ كَانَتْ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ لَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ. وَقِيلَ: أَرَادَ بِقَوْلِهِ: أَلْفِ شَهْرٍ جَمِيعَ الدَّهْرِ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَذْكُرُ الْأَلْفَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ عَلَى طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ.
وَقِيلَ: وَجْهُ ذِكْرِ الْأَلْفِ الشَّهْرِ:

أَنَّ الْعَابِدَ كَانَ فِيمَا مَضَى لَا يُسَمَّى عَابِدًا حَتَّى يَعْبُدَ اللَّهَ أَلْفَ شَهْرٍ، وَذَلِكَ ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً وَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ، فَجَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ عِبَادَةَ لَيْلَةٍ خَيْرًا مِنْ عِبَادَةِ أَلْفِ شَهْرٍ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا. وَقِيلَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى أَعْمَارَ أُمَّتِهِ

قَصِيرَةً، فَخَافَ أَنْ لَا يَبْلُغُوا مِنَ الْعَمَلِ مِثْلَ مَا بَلَغَ غَيْرُهُمْ فِي طُولِ الْعُمُرِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَجَعَلَهَا خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ لِسَائِرِ الْأُمَمِ[1]. انتهى

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ وَالضَّمِيرُ فِي أَنْزَلْنَاهُ رَاجِعٌ إِلَى الْكِتَابِ الْمُبِينِ وَهُوَ الْقُرْآنُ. وَاللَّيْلَةُ الْمُبَارَكَةُ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَكْتُبُ فِيهَا مَا يَكُونُ فِي السنة من حياة وموت وبسط وَخَيْرٍ وَشَرٍّ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وفي الصحيحين عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أُرُوا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي المَنَامِ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ﴾.

وفي الصحيحين كذلك عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ﴿تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوِتْرِ، مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ﴾

---

(1) فتح القدير الشوكاني(5/576) .

وأخرج البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: "التَمِسُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةَ القَدْرِ، فِي تَاسِعَةٍ تبْقَى، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى".

وأخرج البخاري كذلك عن ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هِيَ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، هِيَ فِي تِسْعٍ يَمْضِينَ، أَوْ فِي سَبْعٍ يَبْقَيْنَ".

وأخرج البخاري عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُخْبِرَنَا بِلَيْلَةِ القَدْرِ فَتَلاَحَى رَجُلاَنِ مِنَ المُسْلِمِينَ فَقَالَ: "خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، فَرُفِعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ، وَالسَّابِعَةِ، وَالخَامِسَةِ".

الاجتهاد والإلحاح في الدعاء.

والدعاء الثابت في هذه ليلة القدر الليلة المباركة، ما ورد عن السيدة عَائِشَةَ رضي الله تعالى عنها، قَالَت: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ، مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: قُولِي: "اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ، تُحِبُّ الْعَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي."

من أسماء الله تعالى "العَفُوُّ"، وهو صفة من صفاته سبحانه، ففي القرآن الكريم: "وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً"، لذا جاء في دعاء ليلة القدر.

العفو بمعنى المحو والإزالة، يعني يمحو الذنوب من الصحف بعد التجاوز عنها والمغفرة.

الصدقة أشد استحبابا في رمضان لا سيما في آخره:

وفي الصحيحين عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ يَلْقَاهُ، فِي كُلِّ سَنَةٍ، فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ"

والله من وراء القصد

تفسير سورة القدر

أبو عاصم البركاتي المصري

في شهر رمضان 1442 هـ ـ 2021

سورة القدر: مكية؛ وقيل مدنية في قول كثيرين؛ عدد الآيات 5.

مناسبة السورة لما قبلها:

جاءت سورة القدر ـ المبينة لأمر إنزال القرآن وبيان شرف وقت إنزاله ـ في ترتيب المصحف بعد سورة العلق؛ التي هي أول ما نزل من القرآن إلى الأرض.

وقد اتصلت السورتان في المقاصد والمعاني فقد ورد الأمر بقراءة القرآن والأمر بعبادة الله وحده الذي إليه المرجع والمآل ؛ والتحذير من محاربة المصلين؛ وكذا فيهما الدعوة إلى اغتنام الأوقات المفضلة والتي فيها يضاعف ثواب الأعمال .

مناسبة السورة لما بعدها:

بعدها سورة البينة؛ والبينة هي الرسول الذي يتلو كتاب الله الذي تقدم بيان شرف ليلة إنزاله وهي ليلة القدر؛ حتى يقيم به الحجة على من خالفه ليحيى من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة.

مقاصد سورة القدر:

(1) بيان أن القرآن كلام الله ووحيه إلى رسوله ﷺ.

(2) بيان شرف وقت إنزال القرآن.

(3) بيان فضل العبادة في ليلة القدر.

(4) بيان تنزل الملائكة وجبريل عليهم السلام في ليلة القدر ولا تنزل إلا لأمر عظيم.

(5) بيان أن الله أخفاها في العشر الأواخر حتى لا يتكل الناس ويتركوا العبادة في غيرها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1)﴾

﴿إِنَّا﴾: ضمير العظمة لله تعالى؛ وهي صيغة تأتي في مقام تعظيم الله لنفسه؛ نحو قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ؛ وقوله :﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾.

وقوله : ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: النزول يكون من علو؛ والضمير يعود إلى القرآن؛ وليلة القدر في رمضان لقوله تعالى ﴿شهر رَمَضَان الَّذِي أنزل فِيهِ الْقُرْآن﴾؛ ورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ قَالَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ الذِّكْرِ الَّذِي عِنْدَ رَبِّ الْعِزَّةِ حَتَّى وُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ جَعَلَ جِبْرِيلَ يَنْزِلُ عَلَى مُحَمَّدٍ بِحِرَاءَ بِجَوَابِ كَلامِ الْعِبَادِ وَأَعْمَالِهِمْ "(1).

وعليه فالقرآن نزل جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا وكان ذلك في ليلة القدر؛ ثم ابتدأ نزوله في ليلة القدر بواسطة جبريل عليه السلام على النبي ﷺ في غار حراء بمكة، ثم توالى نزوله حتى تم في ثلاث وعشرين سنة مدة الدعوة قبل الهجرة وبعدها قال تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً ﴾ [الإسراء :106].

(1) "تفسير الدر المنثور" للسيوطي (8/ 569).

﴿ لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ والقدر بمعنى الشرف والعظمة وعلو الشأن؛ ومنه قوله تعالى ﴿وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ أي ما عظموه بما يوافق قدره العظيم.

وقَالَ الزُّهْرِيُّ: مَعْنَاهُ لَيْلَةُ الْقَدْرِ الْعَظِيمِ وَالشَّرَفِ، وَعِظَمُ الشَّأْنِ. ولِأَنَّهَا تُكْسِبُ مَنْ أَحْيَاهَا قَدْرًا عَظِيمًا عند الله تعالى؛ لقول النبي ﷺ : " من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه " متفق عليه.

وقيل القدر: بمعنى الحكم والتقدير؛ قال مجاهد :لَيْلَةُ الْحُكْمِ .

لِأَنَّهُ تُقَدَّرُ فِيهَا الْآجَالُ وَالْأَرْزَاقُ وَحَوَادِثُ الْعَالَمِ كُلُّهَا وَتُدْفَعُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ لِتَمْتَثِلَهُ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَمُجَاهِدٌ: فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ يَفْصِلُ كُلَّ مَا فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَرْزَاقِ وَالْآجَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَكْتُبُ ذَلِكَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ.

وقيل القدر : بمعنى التضييق ومنه قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ أي ضُيِق؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ تَضِيقُ فِيهَا بِالْمَلَائِكَةِ.

وليلة القدر في رمضان في العشر الأواخر لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : "تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ" [متفق عليه] .

وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: "تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ" [متفق عليه].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْمَنَامِ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "إِنِّي أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فليتحراها فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ" [متفق عليه].

وأخرج البخاري برقم (2021) بسنده عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ أنه قال: "التَمِسُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةَ القَدْرِ، فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى".

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ"؛ من حديث أبي بَكْرَة قال: مَا أَنَا مُلْتَمِسُهَا لِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا فِي

الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: "التَمِسُوهَا فِي تِسْعٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ فِي سَبْعٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ فِي خَمْسٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ فِي ثَلَاثِ أَوَاخِرِ لَيْلَةٍ".

وأخرج مسلم في "صحيحه" بسنده إلى زِرِ بن حُبَيْشٍ، يَقُولُ: سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: "مَنْ يَقُمِ الْحَوْلَ يُصِبْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ؟ فَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: أَرَادَ أَنْ لَا يَتَّكِلَ النَّاسُ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهَا فِي رَمَضَانَ، وَأَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، وَأَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، ثُمَّ حَلَفَ لَا يَسْتَثْنِي، أَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، فَقُلْتُ: بِأَيِّ شَيْءٍ تَقُولُ ذَلِكَ؟ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، قَالَ: بِالْعَلَامَةِ، أَوْ بِالْآيَةِ الَّتِي أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهَا تَطْلُعُ يَوْمَئِذٍ، لَا شُعَاعَ لَهَا".

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ(2)﴾

﴿وَمَآ أَدْرَاكَ﴾ يَا مُحَمَّد تَعْظِيمًا لَهَا ﴿مَا لَيْلَةُ الْقدر﴾ مَا فضل لَيْلَة الْقدر.

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: مَا كَانَ فِي الْقُرْآنِ وما أَدْرَاكَ، فَقَدْ أَعْلَمَهُ، وَمَا قَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَعْلَمْهُ.

وأخفاها الله عن عباده لتفخيم شأنها وتضخيم أمرها، لِيَجِدُّوا فِي الْعَمَلِ وَلَا يَتَّكِلُوا عَلَى فَضْلِهَا وَيُقَصِّرُوا فِي غَيْرِهَا.

تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3)﴾

﴿خَيْرٌ﴾: أي أفضل وأعظم.

ألف : والعرب غايتها ومنتهاها في الأعداد الألف ؛ ثم تضاعفه إن احتاجت.

ومنه قوله تعالى : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ يَعْنِي جَمِيعَ الدَّهْرِ.

والمعنى : عبادة الله في ليلة القدر خير من العبادة مدة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

وَأخرج مَالك فِي "الْمُوَطَّأ" (1/ 321) : أَنه بلغه أَن رَسُول الله ﷺ أُرِي أَعمال النَّاس قبله أَو مَا شَاءَ الله من ذَلِك فَكَأَنَّهُ تقاصر أَعمار أمته أَن لَا يبلغُوا من الْعَمَل مثل مَا بلغ غَيرهم فِي طول الْعُمر فَأَعْطَاهُ الله لَيْلَة الْقدر خيرا من ألف شهر.

وورد عَنْ مُجَاهِدٍ مرسلا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ رَجُلاً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَبِسَ السِّلاحَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ؛ قَالَ: فَعَجِبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ الَّتِي لَبِسَ ذَلِكَ الرَّجُلُ السِّلاحَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ[1] .

تفسير قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4)﴾

﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ أي تَهْبِطُ من السماء إلى الأرض فتضيق الأرض ليلتها بالملائكة؛ والتنزل: بالتشديد، دليل على الكثرة، فالزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى؛ والتنزل يدل على التتابع فتنزل الملائكة شيئا فشيئا حتى تملأ الأرض؛ فَلا تَبْقَى بُقْعَةٌ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلا وَعَلَيْهَا مَلَكٌ، إِمَّا سَاجِدٌ وَإِمَّا قَائِمٌ، يَدْعُو لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.

﴿وَالرُّوحُ﴾: هو جبريل عليه السلام خصه الله بالذكر لشرفه وفضله؛ قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ وقال : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وقوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ [مريم: 17]

فقد تبين أن روح القدس والروح الأمين هو جبريل عليه السلام .

---

(1) أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى" (9/146) رقم (8597)، وأخرجه أيضًا الواحدي في "أسباب النزول"(1/ 303، 304).

وَقِيلَ: الرُّوحُ الرَّحْمَةُ يَنْزِلُ بِهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مَعَ الْمَلاَئِكَةِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، لقوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾ [النحل: 2]

وأخرج الإمام أحمد في "مسنده" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: "إِنَّهَا لَيْلَةُ سَابِعَةٍ أَوْ تَاسِعَةٍ وَعِشْرِينَ، إِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى"[1].

قوله : ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ قال الشيخ ابن عثيمين: وقوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي بأمره، والمراد به الإذن الكوني؛ لأن إذن الله -أي أمره- ينقسم إلى قسمين: إذن كوني، وإذن شرعي، فقوله تعالى: ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:21] أي: ما لم يأذن به شرعًا، لأنه قد أذن به قدرًا، فقد شرع من دون الله، لكنه ليس بإذن الله الشرعي، وإذن قدري كما في هذه الآية: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي بأمره القدري، وقوله: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ قيل إن ﴿مِنْ﴾ بمعنى الباء أي بكل أمر مما يأمرهم الله به، وهو مبهم لا نعلم ما هو، لكننا نقول إن تنزل الملائكة في الأرض عنوان على الخير والرحمة والبركة[2].

---

(1) أخرجه الإمام أحمد (10734) والطيالسي (2668) وابن خزيمة (2194) والطبراني في "الأوسط" (2522)، (4937) والبزار (9447 بحر) وإسناده حسن.

(2) "تفسير جزء عم" للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص 271.

قوله :﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾: أي بِكُلِّ أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ وَقَضَاهُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ إِلَى قَابِلٍ، كقوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: 11] أَيْ بِأَمْرِ اللَّهِ.

تفسير قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (5)﴾

﴿سَلَامٌ﴾: أَيْ ذَاتُ سَلَامَةٍ ؛ قال مُجَاهِدٌ: هِيَ لَيْلَةٌ سَالِمَةٌ، لَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهَا سُوءًا وَلَا أَذًى.

قال الضّحاك: لا يقدر الله سبحانه في تلك الليلة إلّا السلامة، فأمّا في الليالي الأخر فيقضي الله تعالى فيهنّ البلاء والسلامة.

قلت ولعل لذلك أشار النبي ﷺ إلى العفو فعن عائشة قالت للنبي ﷺ : إن وافت لَيْلَةُ الْقَدْرِ فما أقول؟ قال: " قولي: اللهمّ إنّك عفوّ تحب العفو فاعف عنّي".

وقيل ﴿ سَلَامٌ ﴾: لَا يحل لكوكب أَن يرْجم بِهِ فِيهَا حَتَّى يصبح.

وعَن الْحسن فِي قَوْله: ﴿ سَلَامٌ ﴾ قَالَ: إِذا كَانَ لَيْلَة الْقدر لم تزل الْمَلَائِكَة تخفق بأجنحتها بِالسَّلَامِ من الله وَالرَّحْمَة من لدن صَلَاة الْمغرب إِلَى طُلُوع الْفجْر.

وأخرج ابن حبان في "صحيحه" بسنده عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنِّي كُنْتُ أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، ثُمَّ نُسِّيتُهَا، وَهِيَ فِي الْعَشْرِ

الْأَوَاخِرِ، وَهِيَ طَلْقَةٌ بَلْجَةٌ لَا حَارَّةٌ وَلَا بَارِدَةٌ، كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا يَفْضَحُ كَوَاكِبَهَا لَا يَخْرُجُ شَيْطَانُهَا حَتَّى يَخْرُجَ فَجْرُهَا"[1].

وَأخرج الإمام أحمد وعنه البيهقي في "شعب الإيمان (5/ 276)" واللفظ له عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي فَضْلِ قِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، ثُمَّ قَالَ: " وَمِنْ أَمَارَتِهَا أَنَّهَا لَيْلَةٌ بَلْجَةٌ صَافِيَةٌ سَاكِنَةٌ لَا حَارَّةٌ، وَلَا بَارِدَةٌ كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا، وَإِنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ فِي صَبِيحَتِهَا مُسْتَوِيَةً لَا شُعَاعَ لَهَا "[2].

انتهى تفسير سورة القدر

---

(1) أخرجه ابن حبان (3688) وابن خزيمة في صحيحه (2190) وهو حسن لشواهده.

(2) أخرجه أحمد (22765) والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 276) وإسناده ضعيف.

ماذا بعد رمضان ؟؟

أبو عاصم البركاتي المصري

الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

قال تعالى :﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ولعلكم تشكرون الله بطاعته والمداومة عليها؛ والأيامُ خزائنُ حافظةٌ لأعمالكم، تُدعَون بها يوم القيامة؛ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ﴾ [آل عمران: 30]، وفي الحديث القدسي : "يا عبادي، إنَّما هي أعمالُكم أُحصيها لكم، ثم أوفِّيكم إيَّاها، فمَن وجد خيرًا فليحمدِ الله، ومَن وجد غيرَ ذلك، فلا يلومنَّ إلاَّ نفسَه" رواه مسلم.

الخوف من عدم القبول شعار الصالحين

فرمضانُ سوقٌ قام ثم انفضَّ، رَبِح فيه مَن ربح، وخَسِر فيه مَن خسر، فمَن كان محسنًا، فليحمدِ لله، وليسألِ الله القَبولَ، فإنَّ الله - جلَّ وعلا - لا يُضِيع

أَجْرَ مَن أحسن عملاً، ومَن كان مسيئًا فليتبْ إلى الله؛ فإن الله يتوب على من تاب.

وعلى المرء ألا يغتر بعمله وليسأل الله القبول؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة:27)

وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (فاطر: 10)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آَيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال: 2– 4).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف:103–104)

وهذا إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– يرفع قواعد البيت ـ كعبة الله المشرفة ـ ويدعو ويرجو القبول ؛ قال تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة:127)

وكان بعض السلف لما قرأ هذه الآية جعل يبكي ويقول: ما بالُ خليل الله يرفع قواعد البيت ويخاف ألا يُقبل منه اهـ.

وفي باب الدعاء والعبادة، كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ (إبراهيم:40)

وأخبر عن امرأة عمران فقال سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

ورسول الله ﷺ لما أراد أن يضحي قال :" بسم الله، اللهم تقبل من محمد ومن أمة محمد ثم ضحى "رواه مسلم

قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾

ورد في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهما عنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أَهُوَ الَّذِي يَزْنِي، وَيَسْرِقُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: "لَا، يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَوْ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ" .

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ كَالْوِعَاءِ، إِذَا طَابَ أَسْفَلُهُ، طَابَ أَعْلَاهُ، وَإِذَا فَسَدَ أَسْفَلُهُ، فَسَدَ أَعْلَاهُ".

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ" قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا".

وأخرج البخاري عَنْ أُمِّ العَلاَءِ رضي الله عنها- وهي امرأة - بَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: طَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فِي السُّكْنَى، حِينَ اقْتَرَعَتِ الأَنْصَارُ عَلَى سُكْنَى المُهَاجِرِينَ، فَاشْتَكَى فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى تُوُفِّيَ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ فِي أَثْوَابِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، قَالَ: "وَمَا يُدْرِيكِ" قُلْتُ: لاَ أَدْرِي وَاللَّهِ، قَالَ: "أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ اليَقِينُ، إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي - وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ - مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ" قَالَتْ أُمُّ العَلاَءِ: فَوَاللَّهِ لاَ أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ، قَالَتْ: وَرَأَيْتُ لِعُثْمَانَ فِي النَّوْمِ عَيْنًا تَجْرِي، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: "ذَاكِ عَمَلُهُ يَجْرِي لَهُ".

وأخرج مسلم قول عائشة رضي الله عنها في جنازة صبي صغير: طوبى له عصفورٌ من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدرك، قال ﷺ : أو غير ذلك يا عائشة" .

قال النووي : "نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل ." انتهى.

وعقد البخاري في صحيحه : "باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر"، وأورد قول إبراهيم التيمي" :ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذِبًا".

وقول ابن أبي مليكة :"أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله – ﷺ – كلهم يخاف على نفسه النفاق، ما منهم أحدٌ يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل."

وَيُذْكَرُ عَنِ الحَسَنِ البصري قوله في النفاق: " مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلاَ أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ.

وكان الحسن البصري –رحمه الله– يقول: "وددت أني أعلم أن الله قبل لي سجدة واحدة"، بل قال: "نضحك ولا ندري لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا وقال: لا أقبل منكم شيئًا."

وهذا أبو بكر -رضي الله عنه- يقول: "إن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعمل بالليل لا يقبله بالنهار". وكان يخاف ألا يُتقبل منه يوم الحساب!!

وعمر -رضي الله عنه- يقول : "وَيْلِ عمر، ووَيْلٌ لأُمِّي إِنْ لَمْ يَرْحَمْنِي رَبِّي".

وكان علي -رضي الله عنه- يقول: "كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل، ألم تسمع الله يقول : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة:27).

وأبو ذر -رضي الله عنه- كان يقول" :لأن أستيقن أن الله قد تقبل لي صلاة واحدة أحب إلي من الدنيا وما فيها".

وجاء سائل إلى ابن عمر رضي الله عنهما فقال لابنه: أعطه دينارا، فلما انصرف، قال له ابنه: تقبل الله منك يا ابتاه، فقال: لو علمت أن الله تعالى يقبل مني سجدة واحدة، وصدقة درهم؛ لم يكن غائب أحب إلي من الموت، أتدري ممن يتقبل؟ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

وهذا فَضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه يقول : "لَأَنْ أعلم أَنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ مِنِّي مِثْقَالَ حَبَّةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا"؛ لِأَنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَقُولُ : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

وبكى عامر بن عبد القيس في مرضه بكاءً شديدًا، فقيل له" :ما يبكيك؟ قال آية في كتاب الله :﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِين﴾.

و يقول يونس بن عبيد رحمه الله: "والله ما أراه يُتقبل مني شيء وقد خشيت أن أكون من أهل النار" .

قال مالك بن دينار رحمه الله : "الخوف على العمل ألا يُقبل أشد من العمل"

وقال عطاء –رحمه الله :– "الحذر الاتقاء على العمل ألا يكون لله."

وقال ابن أبي رواد رحمه الله : "أدركتهم يجتهدون في العمل فإذا فعلوه وقع عليهم أن يقبل منهم أم لا" .

وقَالَ أبو الليث السمرقندي رَحِمَهُ اللَّهُ:

مَنْ عَمِلَ الْحَسَنَةَ يَحْتَاجُ إِلَى خَوْفِ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ:

أَوَّلُهَا: خَوْفُ الْقَبُولِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27].

وَالثَّانِي: خَوْفُ الرِّيَاءِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5].

وَالثَّالِثُ: خَوْفُ التَّسْلِيمِ وَالْحِفْظِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: 160]، فَاشْتَرَطَ الْمَجِيءَ بِهَا إِلَى دَارِ الْآخِرَةِ.

وَالرَّابِعُ: خَوْفُ الْخِذْلَانِ فِي الطَّاعَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي هَلْ يُوَفَّقُ لَهَا أَمْ لَا؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88]

مداومة الطاعة بعد رمضان

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾

وقال تعالى : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

وأخرج مسلم عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: "أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ".

وأخرج البخاري ومسلم عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ كَانَ عَمَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنَ الْأَيَّامِ؟ قَالَتْ: "لَا، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، وَأَيُّكُمْ يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْتَطِيعُ".

وأخرج مسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً أَثْبَتَهُ، وَكَانَ إِذَا نَامَ مِنَ اللَّيْلِ، أَوْ مَرِضَ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً".

التطوع بالصيام بعد رمضان

وبخصوص مواصلة الطاعة بالصيام بعد رمضان قال ﷺ: "من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كمن صام الدهر كله" رواه مسلم.

وأخرج ابن ماجه (1715) والنسائي في "السنن الكبرى"(2873) عَنْ ثَوْبَانَ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ صَامَ سِتَّةَ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ كَانَ تَمَامَ السَّنَةِ، مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا".

وأخرج البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلاَثٍ: "صِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ".

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا"

وأخرج النسائي عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: "مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَاعَدَ اللَّهُ مِنْهُ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ".

وأخرج الترمذي وغيره عَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ".

استحباب صيام يوم عاشوراء

وقد ثبت في الصحيحين من حديث مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَوْمَ عَاشُورَاءَ عَامَ حَجَّ عَلَى المِنْبَرِ قال : يَا أَهْلَ المَدِينَةِ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "هَذَا يَوْمُ عَاشُورَاءَ وَلَمْ يَكْتُبِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، وَأَنَا صَائِمٌ، فَمَنْ شَاءَ، فَلْيَصُمْ وَمَنْ شَاءَ، فَلْيُفْطِرْ".

استحباب صيام يوم عرفة ويوم عاشوراء
وبيان فضل صيامهما

فقد أخرج مسلم من حديث أبي قتادة أن رسول الله ﷺ قال: "ثَلَاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ".

****

استحباب صيام الاثنين والخميس

أخرج مسلم عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الِاثْنَيْنِ؟ فَقَالَ: "فِيهِ وُلِدْتُ وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ"

وأخرج أبو داود عَنْ حَفْصَةَ قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنَ الشَّهْرِ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ، وَالِاثْنَيْنِ مِنَ الْجُمْعَةِ الْأُخْرَى".

وأخرج الترمذي عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَحَرَّى صَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ".

وأخرج الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ".

وأخرجه الإمام أحمد كذلك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ أَكْثَرَ مَا يَصُومُ الاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: " إِنَّ الْأَعْمَالَ تُعْرَضُ كُلَّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ - أَوْ: كُلَّ يَوْمِ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ - فَيَغْفِرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ - أَوْ: لِكُلِّ مُؤْمِنٍ - إِلَّا الْمُتَهَاجِرَيْنِ، فَيَقُولُ: أَخِّرْهُمَا " .

استحباب الصيام في شعبان

أخرج النسائي وغيره من حديث أُسَامَة بن زَيْدٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: "ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ".

وأخرج البخاري ومسلم واللفظ له عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عَنْ صِيَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: " كَانَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: قَدْ صَامَ وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: قَدْ أَفْطَرَ، وَلَمْ أَرَهُ صَائِمًا مِنْ شَهْرٍ قَطُّ، أَكْثَرَ مِنْ صِيَامِهِ مِنْ شَعْبَانَ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ، كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلاً " .

مواصلة قيام الليل بعد رمضان

وبخصوص قيام الليل بعد رمضان أخرج البخاري عن عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "يَا عَبْدَ اللَّهِ، لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلاَنٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ".

وهذا حديث يبين فضل المحافظة على الصلاة بالليل؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه رقم (7028) بسنده عن نَافِعٌ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، قَالَ: إِنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَانُوا يَرَوْنَ الرُّؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُصُّونَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَأَنَا غُلاَمٌ حَدِيثُ السِّنِّ، وَبَيْتِي المَسْجِدُ قَبْلَ أَنْ أَنْكِحَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ لَرَأَيْتَ مِثْلَ مَا يَرَى هَؤُلاَءِ، فَلَمَّا اضْطَجَعْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ فِيَّ خَيْرًا فَأَرِنِي رُؤْيَا، فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَنِي مَلَكَانِ، فِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، يُقْبِلاَنِ بِي إِلَى جَهَنَّمَ، وَأَنَا بَيْنَهُمَا أَدْعُو اللَّهَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهَنَّمَ، ثُمَّ أُرَانِي لَقِيَنِي مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ: لَنْ تُرَاعَ، نِعْمَ الرَّجُلُ أَنْتَ، لَوْ كُنْتَ تُكْثِرُ الصَّلاَةَ. فَانْطَلَقُوا بِي حَتَّى وَقَفُوا بِي عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ البِئْرِ، لَهُ قُرُونٌ كَقَرْنِ البِئْرِ، بَيْنَ كُلِّ قَرْنَيْنِ مَلَكٌ بِيَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، وَأَرَى فِيهَا رِجَالًا مُعَلَّقِينَ بِالسَّلاَسِلِ، رُءُوسُهُمْ أَسْفَلَهُمْ، عَرَفْتُ فِيهَا رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَانْصَرَفُوا بِي عَنْ ذَاتِ اليَمِينِ.

فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ" فَقَالَ نَافِعٌ: "فَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْثِرُ الصَّلاَةَ".

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: "يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ"[1]

قصة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

أخرج البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ، فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا، فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "الْقَنِي بِهِ"، فَلَقِيتُهُ بَعْدُ، فَقَالَ: "كَيْفَ تَصُومُ؟" قَالَ: كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: "وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟"، قَالَ: كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: "صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاَثَةً، واقرأ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ"، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: "صُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فِي الْجُمُعَةِ"، قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: "أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا" قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ

(1) أخرجه الطبراني في الأوسط (4278)، وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب. (929) وقد حسّنه العراقي.كما في كشف الخفا (2/77)، وانظر الفوائد المجموعة (ص34) .

أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: "صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً" فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَاكَ أَنِّي كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبْعَ مِنَ القُرْآنِ بِالنَّهَارِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ، لِيَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّامًا وَأَحْصَى، وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئًا، فَارَقَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَيْهِ ".

******

الثبات حتى الممات

قصة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أخرج البخاري عن علي رضي الله عنه حديث التسبيح عند النوم : "سبحان الله ثلاثا وثلاثين، والحمد لله ثلاثا وثلاثين، والله أكبر أربعا وثلاثين"، قال: "ما تركته منذ سمعته من رسول الله ﷺ قيل: ولا يوم صفين، قال: ولا يوم صفين" .

قصة إبراهيم بن هانئ رحمه الله

أخرج ابن الجوزي في "الثبات حتى الممات ص168" بسنده قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ النَّيْسَابُورِيَّ يَقُولُ: حَضَرْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ هَانِئٍ يَوْمَ وَفَاتِهِ فَدَعَا ابْنَهُ إِسْحَاقَ فَقَالَ : هَلْ غَرُبَتِ الشَّمْسُ؟ قَالَ: لَا ثُمَّ ؛ قَالَ: يَا أَبَتِ

قَدْ رُخِّصَ لَكَ فِي الإِفْطَارِ فِي الْفَرْضِ وَأَنْتَ مُتَطَوِّعٌ، قَالَ: أَمْهِلْ ثُمَّ قَالَ: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فليعمل الْعَامِلُونَ﴾.

قصة الْجُنَيْد بْن مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ 297 هـ

قال أَبو بَكْرٍ الْعَطَّار : حَضَرْتُ الْجُنَيْدَ عِنْدَ الْمَوْتِ فِي جَمَاعَةٍ لأَصْحَابِنَا فَكَانَ قَاعِدًا يُصَلِّي وَيَثْنِي رِجْلَيْهِ كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى خَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ رِجْلِهِ فَثَقُلَ عَلَيْهِ حَرَكَتُهَا فَمَدَّ رِجْلَيْهِ وَقَدْ تَوَرَّمَتَا فَرَآهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ فَقَالَ: مَا هَذَا يَا أَبَا الْقَاسِمِ؟!!! قَالَ: هَذِهِ نِعَمٌ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَلَمَّا فَرِغَ مِنْ صَلاتِهِ قَالَ لَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِيُّ: لَوِ اضْطَجَعْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ؛ قَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ هَذَا وَقْتٌ يُؤْخَذُ مِنْهُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ حَالُهُ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قصة ثَابِت الْبُنَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ 41 / 127 هـ

قال مُحَمَّدُ بْنُ ثَابِتٍ الْبُنَانِيُّ : ذَهَبْتُ أُلَقِّنُ أَبِي وَهُوَ فِي الْمَوْت فَقلت يَا أَبَة قَلْ: لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَقَالَ يَا بُنَيَّ خَلِّ عَنِّي فَإِنِّي فِي وِرْدِيَ السَّادِسِ أَوِ السَّابِعِ.

هذا ما تيسر والله وحده من وراء القصد

أبو عاصم البركاتي المصري

1442 هـ

فهرس

الموضوع والبحث الأول

الموضوع والبحث الثاني

الموضوع والبحث الثالث

الموضوع والبحث الرابع

الموضوع والبحث الخامس

صدر للمؤلف

(1) سبيل المؤمنين في الرد على شبهات القرآنيين

(2) حديث الآحاد عند الأصوليين والرد على شبهات المنكرين

(3) الأقوال النافعة في شرح الرسالة اللطيفة الجامعة في أصول الفقه

(شرح رسالة الشيخ السعدي)

(4) دلالة الاقتران ووجه الاحتجاج بها عند الأصوليين

(5) تفنيد الشبهات حول ميراث المرأة في الإسلام

(6) زينة الأرفف بتخريج الأربعين في التصوف لأبي عبد الرحمن السلمي

(7) السبل الشرعية والآداب المرعية لدفع الأمراض الوبائية

(8) اعتقاد الإمام الشافعي لأبي طالب العشاري (تحقيق).

(9) الولاء والبراء في الإسلام

(10) الإلمام بشرح نواقض الإسلام

(11) تحفة الخطباء من القرآن وحديث سيد الأنبياء

(12) الأحاديث الأربعين في قضاء حوائج المسلمين للإمام المنذري بتحقيق أبي عاصم البركاتي.

(13) فوائد التحرير بشرح حديث : " الثلث كثير ".

(14) رسالة في مدح السعي وذم البطالة لابن كمال باشا بتحقيق أبي عاصم البركاتي المصري.

(15) الحج فضائل ومقاصد (مجموعة مقالات).

(16) شرح منظومة القواعد الفقهية لفهم النصوص الشرعية للشيخ عبد الرحمن السعدي.

(17) أعمال تنفع الموتى .

(18) أسلوب الحكيم في القرآن والسنة (دراسة بلاغية).

وغير ذلك من البحوث والكتب يسر الله اتمامها